

أ- إثبات عجز الغير وقصوره عن تحقيق ما تحدئ به القرآن، ومن ذلك تحديه للإنس والجن معاً أن يأتوا بمثل القرآن في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]، أو بأن يأتوا بعشر سور مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]، فيوضح الوالدان للفتاة بأنه مما يزيد قوة ذلك الإعجاز تقدم البشر - بعد ذلك - في ميادين التأليف العلمي، وعدم استطاعتهم الإتيان بمثله مما يدل على عجزهم الواضح، وعلى الإعجاز الصريح في القرآن الكريم.

ومن الأمور التي يخبر الوالدان الفتاة بها، ويوضحان لها بأن القرآن تحدئ بها الناس، وأثبت عجزهم فيها: أن يخلقوا كائناً حياً مهما كان شأنه وحجمه حتى ولو كان ذبابة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٢٣]، كما يبينان لها أنه بصرف النظر عن خلق مثل أضعف خلق الله مثل الميكروب فإنهم عاجزون عن وقاية أنفسهم منه؛ إذ إن هناك بعض جراثيم الأمراض لم يجد الأطباء لها علاجاً^(١).

ب- ما جاء به القرآن من حقائق علمية معجزة أو خارقة للعادة بالنسبة لما لدى الناس من ثقافة ومعرفة - في ذلك الوقت - ومن الممكن أن يضرب الوالدان للفتاة مثلاً على ذلك بالحقائق في الآفاق، والتي كشف عن نقابها القرآن منذ أربعة عشر قرناً تقريباً قبل أن يكتشفها العلماء، وهي كثيرة، ومنها: الكشف عن أن الأرض مع عظمتها، ومع ما فيها من جبال وبحار تدور في الفضاء، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وكذلك الإشارة إلى دوران القمر حول الشمس، ثم دوران

(١) جوانب التربية الإسلامية الأساسية، مقداد يلجن، ص: ١٨٠ - ١٨٢.

الشمس حول محورها، وما ينتج عن هذا الدوران من تعاقب الليل والنهار^(١)، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَأَيُّ لَّيْلٍ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ﴾ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ - ٤٠] (٢).

وأخيراً : فإنه عندما يعمل الوالدان على وضع هذا المنظار الإيماني في عيني المراهقة فإنه يكشف أمامها الحقائق الإلهية، ويجعلها تراها كالحقائق الموضوعية الأخرى، ويكون هذا المنظار في الوقت نفسه مقابل المنظار المادي الإلحادي الذي يضعه الماديون الملحدون - في الأعين - الذين لا يرون إلا الحقائق المادية؛ لأن منظارهم معمول لهذه الحقائق فقط لا لغيرها^(٣).

خامساً: تربية الفتاة روحياً عن طريق ربطها بأركان الإيمان الأساسية:

جعل - سبحانه وتعالى - القرآن كله هدىً للذين يؤمنون بالغيب، والغيب في القرآن: يطلق على كل ما يجب الإيمان به مما غاب عن الحس. ومعنى ذلك أن من لا يؤمن بالغيب لا يستطيع أن يهتدي بالقرآن، ولا يقبل منه إسلامه^(٤).

والإيمان هو دواء القلب؛ ففيه يجد الإنسان الأمن الداخلي يملاً جوارحه، فيحل الاطمئنان والراحة والسكينة محل الاضطراب والضياع والتشتت والقلق

(١) جوانب التربية الإسلامية الأساسية، مقداد يالجن، ص: ١٨٦.

(٢) ﴿نَسْلَخُ﴾: ننزع من مكانه الضوء، ﴿كَالْعُرْجُونِ﴾: كعود عذق النخلة العتيق، ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يسبغون بانسباط، انظر: كلمات القرآن، حسنين مخلوف، ص: ٢٢١، ٣٢٢.

(٣) جوانب التربية الإسلامية الأساسية، مقداد يالجن، ص: ١٤٧، ١٤٨.

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلوي، ص: ٧١.

والتوتر الذي يعيشه غير المؤمن . والإيمان بالله : هو إقرار باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالأركان ، وهو ما وقر في القلب وصدق العمل .

ومن ثمَّ فعلى الوالدين أن يبينوا للفتاة بأن الإسلام إنما هو انقياد ظاهري للأوامر الشرعية ، أما الإيمان فهو تصديق بما علمته من أمور الدين ، وأنه عليه المعول في الآخرة^(١)؛ لقوله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٢) ، كما ينبهاها بأن للإيمان ستة أركان ، قد أوضحها الرسول ﷺ في حديث جبريل المشهور عندما سألته عن الإيمان فقال : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(٣) . ومن ثم يشرعان معها في تعليمها أركان الإيمان ركناً ركناً توضيحاً وشرحاً ليكون لكل ركن من هذه الأركان أثره التربوي في روحها .

فعليهما أن يؤكداهما أن الركن الأول من أركان الإيمان - وهو الإيمان بالله - يقتضي منها أن تعرف الله - سبحانه - بآياته ، وتصدق كل ما جاء من أسمائه وصفاته في الكتاب والسنة الصحيحة ، وألا تتجاوز إلى ما وراء ذلك من فلسفات وجدليات^(٤) ، وأنه لكي يكون إيمانها بالله صحيحاً فلا بد أن يشتمل على ثلاثة عناصر أساسية ، وهي :

١ - معرفة معنى الإله ، ذلك المعنى الذي أبى المشركون أن ينسبوه إلى الله وحده ، وينفوه عن معبوداتهم الأخرى .

٢ - إثبات معنى الألوهية لله عز وجل .

(١) المراهقون ، سمير جميل الراضي ، ص : ١٥١ .

(٢) تقدم تخريجه في ص : ٢١ .

(٣) أخرجه مسلم ، ك / الإيمان ، ب / بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، رقم ٨ .

(٤) المراهقون ، سمير جميل الراضي ، ص : ١٥٢ .

٣- نفي معنى الألوهية عن كل كائن سوى الله .

وبذلك تنتظم حياة الفتاة، وتتوحد نوازعها وتفكيرها وأهدافها، وتصبح كل عواطفها وسلوكها وعاداتها قوى متعاونة ترمي إلى تحقيق هدف واحد هو : الخضوع لله وحده، والشعور بألوهيته، ورحمته، وعلمه، وقدرته، وسائر صفاته .

كما ينبغي للوالدين تنشئة الفتاة على أن الإيمان بالله يستلزم أن يكون ميلها إلى الرفاهية وحب البقاء مقابلًا للأمل في رحمة الله وجنته، والشعور بأبديته وتفرد بالبقاء مع فناء هذه الحياة الدنيا، وهو ما يجعلها تعمل بجد وأمل وتفاؤل من جهة، ومن جهة أخرى تبقى حذرة من الموت، غير مغتررة ولا غافلة عن ترقب المفاجآت والمصائب، فإذا وقعت لم تفت في عضدها؛ لأنها تنتظر لقاء ربها، فهي جريئة لا تهاب أحداً إلا الله . كما أن هذا الإيمان الصحيح من شأنه أن يجعلها تستخدم المال وهي تعلم أنه مال الله، وأن كل ما في ملكوت الكون ملك لله، فهو مالك كل شيء، وواهب الرزق لمن يشاء، فإذا ما احتاجت الأمة مالها لمصلحة عامة بذلته بسخاء وهي تعلم أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .

ومن المهم أن ينشئ الوالدان الفتاة على أن من مقتضيات الإيمان بالله : سعة النظر، وحب الاطلاع على أسرار الكون، كما أن من مقتضياته : التواضع، وعدم الغرور بأي صفة من صفاتها، فإذا اغترت بمالها وأسرفت، واستهترت، وبطرت، وتكبرت تذكرت بأن الله هو الغني، وهو الذي وهبها المال؛ فتعود إلى السخاء، والبذل، والتضحية . وإذا اغترت بعلمها فظنت أنها بلغت الكمال نظرت إلى الكون الكبير الذي هو جزء من علم الله؛ فتعود إلى نفسها صاغرة متواضعة تطلب المزيد من المعرفة . وكذلك في جميع ما وهبها الله - تعالى - من نعم .

وعلى الوالدين أن يحذرا الفتاة من التعلق بالآمال الكاذبة - مثل شفاعة

الشافعين - فيؤكد لها بأنه ما من أحد تفيده الشفاعة إلا لمن يأذن الله ويرضى .
ويذكرها - دائماً - بأن الإيمان بالله يقتضي منها أن تتسلح بالطمأنينة والرجاء
والتوكل ، ولكن لا بد لها من السعي والأخذ بالأسباب ، والتوكل لا التواكل ،
يؤكد ذلك قوله ﷺ لصاحب الناقة : «اعقلها وتوكل»^(١) ، وأنها بهذا تصبح أبعد
ما يكون عن اليأس ، أو الانتحار ، أو الهروب من الحياة ، والانحراف بتعاطي
المخدرات والمسكرات . . . لأن هذا اليأس من صفات غير المؤمنين ، كما قال
- تعالى - : ﴿ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

[يوسف : ٨٧] .

ويدعوانها عندما تزل إلى أن تجدد عزمها بالتوبة - كما تقدم - والاستغفار ،
واللجوء إلى رحمة الله التي قال - سبحانه - عنها : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٥٣] .

ومن ثم يبين الوالدان للمراهقة بأنه من نتائج إيمانها الصحيح بالله أنها تكون
من حزب الله الذين قال عنهم : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ
هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥٦] ، وأنها - أيضاً - لكي تنتمي إلى حزب الله لا بد لها من
محاربة حزب الشيطان ، والابتعاد عن الكفار ، وعدم الركون إليهم حتى ولو كانوا
قراة^(٢) ، يقول - سبحانه - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء : ١٤٤] .

أما الركن الثاني من أركان الإيمان هو : الإيمان بالملائكة ، فعلى الوالدين أن

(١) أخرجه الترمذي ، ك/ صفة القيامة ، رقم ٢٥١٧ ، وقال : هذا حديث غريب . وقال - نقلاً عن
يحيى القطان - : حديث منكر . ولكن حسنه الألباني في تخريج أحاديث مشكلة الفقر (٢٢) ،
(اعقلها) : العقل : الحبل الذي تربط به الدابة ، انظر : موسوعة الحديث الشريف .
(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، عبد الرحمن النحلاوي ، ص : ٧٢ - ٧٩ .

يؤكد للمراهمة بأن الملائكة كائنات خلقها الله ، وسخرها لأعمال ومهمات معينة لا يحيدون عنها ، وهم عباد الله : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: ٦] ، وأن من وظائفهم : النزول بالوحي على الأنبياء ، وحمل العرش ، وحفظ الإنسان . . . إلى غير ذلك ، فهم عباد الله وحسب ، ليس لهم بالله أي صلة قربي أو نسب كما زعم المشركون ، وأن الإيمان بهم متمم للإيمان بالله أو هو من لوازمه .

ثم يأتي الركن الثالث من أركان الإيمان ، وهو : الإيمان بالكتب السماوية ، فيبين الوالدان للفتاة بأن هذا الركن يستلزم منها أن تؤمن بجميع الكتب السماوية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وهي صحف إبراهيم ، وتوراة موسى وصحفه ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى ، والقرآن الكريم . ويوضحان لها أهمية هذا الإيمان ، وكونه مطلباً من مطالب الإسلام ، كما ينبهانها بأن الإيمان بالكتب السماوية يقتضي : أن تؤمن بنزولها ، وأنه ضاع منها ما ضاع ، وحُرف ما حُرف ، وأن شرائعها قد نسخت بنزول القرآن الكريم . كما أن الإيمان بالكتب يقتضي من الفتاة أن تؤمن بها جملة بخلاف القرآن الذي ينبغي أن تؤمن وتعمل بكل ما ورد فيه تفصيلاً ، وأن تنزهه عن الريب والعبث ، أو التغيير والتبديل ، وأن تؤمن بأنه نزل من عند الله لفظاً ومعنى ، وأنه قد نزل به جبريل - عليه السلام - على سيدنا محمد ﷺ ، وأنه ناسخ لما قبله ، ومهيمن عليه ، وتؤمن بكل ما ورد فيه من غيبات كالجن ، والشياطين ، والحسد ، والسحر ونحو ذلك من الأشياء والأمور الغيبية التي لا تدرك بالحواس^(١) .

ومما يحسن أن يوضحه الوالدان للفتاة ، أن القرآن الكريم يمتاز على بقية الكتب السماوية بعدة مميزات ، منها :

(١) المراهقون ، سمير جميل الراضي ، ص : ١٥٢ ، ١٥٣ .

- أنه إنساني عالمي خوطبت به البشرية عموماً، وكانت الكتب السماوية من قبله تخاطب أقواماً معينين .

- أنه انتقل من جيل إلى جيل سالماً من التحريف، وقد ثبت نقله بالتواتر، في حين أن جميع الكتب السماوية السابقة قد وصلها التحريف والتبديل .

- كل كتاب كان يتناول بعض جوانب الحياة، في حين أن القرآن الكريم قد تناول كل جوانب الحياة .

- كل كتاب كان يأمر أتباعه باتباع القرآن إذا أدركوه، ولكن القرآن لم يأمر باتباع الكتب السماوية السابقة تفصيلاً، بل ضرب منها أمثلة، وأمر بالإيمان بها جملة .

وإذا تم للفتاة الإيمان الصحيح بالقرآن الكريم، والعمل بما ورد فيه؛ فإنها سوف تتربى على الحياة المستقيمة، والأخلاق القويمة، لما فيه من العبر، والحكم، والتشريع العظيم، كما أنها سوف تنشأ على أعمال عقلها، وتربية ذهنها على التأمل، والاستنتاج، والقياس، والاستقراء، وعدم قبول شيء بغير حجة، أو برهان، أو علم، قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٩]، كما تنشأ على التروي، وعدم التسرع في القصد والمراد، وتتربى عندها العواطف الربانية المنظمة من خوف وخشوع، ورغبة ورهبة، ورقة القلب والمشاعر، حيث إن القرآن ما يزال - دائماً - يوقظ هذه العواطف، قال - تعالى -: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الزمر: ٢٣] ^(١)، كما أن الفتاة بإيمانها بالله تتربى عندها العواطف المرغبة التي

(١) ﴿مُتَشَابِهًا﴾: أي في إعجازه وهدايته وخصائصه، ﴿مَثَانِي﴾: أي مكرراً فيه الأحكام والمواظع وغيرهما، ﴿تَلِينُ﴾: تطمئن، انظر: كلمات القرآن، حسين مخلوف، ص: ٣٤٣.

تربي الأمل ، والإقبال على العمل الصالح ، ومحبة الله تعالى .

ويحسن بالوالدين دعوة المراهقة إذا قرأت القرآن ووجدت دعاءً أن تدعوه به ، وإن قرأت تهديداً أو عذاباً استعازت بالله منه ، وإن قرأت آيات تدل على عظمة الله أن تُخشع قلبها ، وتبكي ، فإن لم تستطع فعلها أن تتباكى لما في ذلك من تربية عظيمة لروحها .

أما الركن الرابع من أركان الإيمان فهو : الإيمان بالرسول ، فيوضح الوالدان للفتاة بأن الله قد أمر بالإيمان بجميع الرسل ؛ لأن كل الرسالات التي جاؤوا بها تطلب من البشر إخلاص العبودية لله وحده ، والاعتراف له بالألوهية .

كما أن الإيمان بهم يقتضي الإيمان بأن منهم من أوحى الله إليه ، ومنهم من أرسل إليه الروح جبريل عليه السلام ، ومنهم من كلمه الله ، وفضل بعضهم على بعض ، ومنهم أولو العزم وأنهم أفضل البشر ، وأن أفضلهم وأفضل الخلق أجمعين سيدنا محمد ﷺ ، وأن لهم عليها - وعلى سائر الخلق - أن تقرأهم ، وتعظمهم ، فلا تسخر منهم ، أو من أحد منهم ، أو تهوّن من شأن بعضهم ، بل تنزلهم في قلبها بما يليق بهم بكل إكبار وإعزاز^(١) ، وأن توقن بأنهم مؤيدون بالوحي والإلهام من عند الله ، فلا يقرهم الله على خطأ في التشريع ، وأنهم أمناء قد بلغوا رسالات ربهم ، وأن الله - تعالى - قد ختم النبوة بالرسول محمد ﷺ فلا نبي بعده ، لذلك امتازت رسالته بأنها أكمل الرسالات وأكثرها شمولاً ، وكان الرسول من قبله يبعث إلى قومه خاصة فأرسله الله رحمة للعالمين ، وأن أخباره نقلت - من جيل إلى جيل - بالسند الصحيح ، وأن الله حفظ سنته ؛ حيث بين علماء الحديث ضعيف الأخبار وصحيحها ، وأن الله - تعالى - نسخ برسالته سائر

(١) المراهقون ، سمير جميل الراضي ، ص : ١٥٣ .

الرسالات التي سبقته، وكان قد أمر جميع الأمم قبله أن يتبعوه إذا أدركوا رسالته. فإذا تم للفتاة هذا الإيمان الصحيح فإنها سوف تشعر بسعادة عظيمة كلما اقتدت بأمر من أوامر الرسول ﷺ، أو بأسلوب من أساليبه التربوية^(١).

ثم يأتي الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو: الإيمان باليوم الآخر، فيبين الوالدان للمراهقة ويؤكدان لها أن الدنيا ما هي إلا مرحلة مؤقتة، والكون كله ما خلقه الله عبثاً، بل خلقه إلى أجل مكتوب، فإذا انتهى هذا الأجل أفناه، وأنهى الحياة القائمة عليه، وأهلك كل شيء فيه، ثم يأتي عالم آخر غير هذا العالم، له نظام ومقومات تختلف عن نظام هذا الكون، وحياة أبدية لا موت بعدها، ويومئذ لا يخفى شيء من نوايا البشر وأعمالهم، حيث تشهد عليهم أيديهم وأرجلهم، وينشغل كل امرئ بنفسه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (٣٥) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٦﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]، ويومئذ لا تنفع الشفاعة - إلا من أذن له - ولا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب خالص من شوائب الشرك، ويومئذ يتجلى العدل الإلهي حين يضع الموازين القسط، فإذا انقضى الحساب تتجلى رحمة الله على المؤمنين، فيدخلهم الجنة خالدين فيها، ويتجلى غضبه على الكفار الجاحدين الذين يُدْعَوْنَ إلى جهنم دعاً، خالدين فيها^(٢).

كما يبينان لها بأن من مقتضيات هذا الإيمان، الإيمان بما يأتي:

- البعث والنشور.

- النفخة الأولى والثانية.

- يوم الحشر.

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلوي، ص: ٨٨، ٨٩.

(٢) المرجع السابق، ص: ٨٩، ٩٩.

- الحساب (إلا من شاء الله ألا يحاسبه)، والميزان، وسجلات الأبرار،
والفجار.

- عفو الله، وإدخاله من يشاء في رحمته.

- الصراط.

- الجنة، وصفاتها، وأسمائها ونعيمها، والنار وصفاتها، وأسمائها،
وجحيمها.

- والإيمان بالشفاعة^(١).

كل ذلك من شأنه أن يربي في روح المراهقة الشعور الحقيقي بالمسؤولية عن
كل أعمالها خوفاً من الوقوف للحساب بين يدي الخالق، كما يحقق لها الأخلاق
الفاضلة في سلوكها تحقيقاً فعلياً مستمراً، ثابتاً غير متقلب، بلا نفاق أو رياء
كالهلم والأناة، والتضحية والصبر على الشدائد، والسمو بالنفس عن الدناءات،
كما يحقق لها انضباطاً في جميع غرائزها ودوافعها خوفاً من الله وطمعاً في
جنته، ويجعلها تؤثر الآخرة على الدنيا، وتصبر على الشدائد، كما يربي عقلها
على الفطرة السليمة التي تقتضي:

- أن كل ما في الكون من حياة وموت، وفناء، وضعف تدريجي للطاقات،
وتغير، وأفول وشروق يدل على أنه صائر إلى الزوال، ومسيرٌ بغير إرادته.

- أن هذا الإنسان الذي يقضي عمره في كدح وجد، وخصومة ونزال مع
المجتمع، وهو يتمتع بالعقل والتمييز بين الخير والشر؛ إذا به يموت، ويفقد كل
حركة أو حياة، ومن الناس عادل وظالم، ومحسن ومسيء، وصالح وطالح.

(١) المراهقون، سمير جميل الراضي، ص: ١٥٤.

- أن الكون الذي يدل على خالق مبدع حكيم يدل على أن وراء وجوده غاية من أجلها أوجده الله .

- بالقياس الصحيح على خلق الله لهذا الكون وللإنسان يلزم العقل الصحيح الخالي من التحيز للهوى أن يدرك بأن الذي خلق الكون أول مرة قادر على إعادته خلقاً جديداً، وكذلك إعادة خلق الإنسان^(١) .

ثم يأتي الركن الأخير من أركان الإيمان وهو : الإيمان بالقدر خيره وشره، فيوضح الوالدان للمراهقة بأن هذا الإيمان من لوازم الإيمان بالله ؛ لأن الله - تعالى - هو الذي قدر كل ما سيقع في الكون، وفي المجتمع الإنساني، وبين البشر من حوادث، وقدر لكل ذرة في السموات والأرض مبدأها ومصيرها، ونظامها، وأجلها، وعلاقتها بغيرها، وبسائر الكون، وكذلك لكل جرم صغير أو كبير، وإذا تحقق للمراهقة هذا النوع من الإيمان فإنها :

- سوف تنشأ على العزم، وعدم التردد؛ حيث إنها إذا ناقشت الأمور، ورجحت بينها، واستشارت غيرها، واستخارت ربها، فإنها تمضي قدماً فيما عازمت عليه دون توقف، أو تردد أو خوف؛ ليقينها بأن جميع الظروف والاحتمالات التي يمكن أن تكون غير واقعة في حساباتها هي مما وقع في علم الله وقدره، وأن الله مؤيدها، فإذا يسر لها ما عازمت عليه فهو الخير المقدر لها، وإذا لم ييسره فهو شر كان محتملاً فصرفه عنها .

- كما أنها سوف تنشأ على عدم الندم أو الحسرة على ما فات لأنها تعلم أن ذلك لن يردَّ عليها شيئاً، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولكن لها أن تعتبر فتتوب من الخطأ، أو الذنب .

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص : ٩١، ٩٢ .

- تنشأ على الجرأة أمام الموت ؛ لأنها تعلم أنه لا يمكن لنفس أن تموت إلا بإذن الله ، وبعد أن تستوفي أجلها الذي كتبه الله لها ، لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران : ١٤٥] .

- تنشأ على التفاؤل والرضا ، والإحساس بالأمن والأمان ، والطمأنينة والسكينة ، وقطع دابر التشاؤم والجزع ، وتعليل المصائب بعلة أو أسباب غير صحيحة ، كالتشاؤم من صوت البوم ، أو من الزمان وحوادثه ، أو من الريح ؛ فهي مؤمنة أن ما أصابها لم يكن ليخطئها ، وما أخطأها لم يكن ليصيبها ، مصداقاً لقوله - تعالى - : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : ٢٢] .

- تنشأ على عدم التكالب على الحياة ، وعدم السعي للرزق بطرق غير مشروعة ، أو بأساليب محرمة ، اعتماداً على الوعد الرباني في قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود : ٦] ، وقوله - تعالى - : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [٢٢] قُورَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢ ، ٢٣] .

- تنشأ على الصبر والتحمل على ما أصابها - من قبح أو يتم أو عرج أو عمى أو فقر أو . . - لأنها تعلم أن هذا النوع من أنواع الابتلاء إذا خص الله به عبداً من عباده فإن ذلك لحكمة لا يعلمها إلا هو ، ولا يملك أحد أن يسأله ، أو يعترض عليه ، وهو ابتلاء كالامتحان إن نجح فيه كان له الأجر والثواب ، وإن رسب فقد خسر الدنيا والآخرة ، ولأنها تعلم أن ما يصيب الإنسان من هم أو حزن إنما يريد الله أن يميز به بين الصادقين والكاذبين ، حيث يقول - تعالى - : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبْ

النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ١ - ٣] ، كما أن هذا النوع من الإيمان إذا وقر في روح الفتاة فإنها سوف تعلم إن منحها الله جمالاً، أو كثرة مال أو غير ذلك من النعم فإن هذا - أيضاً - ابتلاء؛ لأن الله - تعالى - استخلفها في هذا لينظر ما تفعل، فإن شكرت نجحت في اجتياز هذا الامتحان .

- تنشأ على الإيمان بأن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، ولا في أي مكان أو زمان، وأنه لا راد لقضائه وأمره .
- كما أنه إذا تحقق للفتاة الإيمان بالقدر فإنها سوف تتخلص من الخوف، لأنها تعلم أن النفع والضرر بيد الله تعالى .

- لا تثق بنفسها، وقدرتها، ومكانتها لدرجة الغرور، وعدم التوكل .

- أنها تستهين بأعداء الله - تعالى - وقوتهم .

- تستهين بالأخطار والصعاب لأنها تعلم أن من يتوكل على الله فهو حسبه، ومن ثم تضاعف قوتها، وتقوي أملها وعزيمتها .

- تعلق الأمل في كل الأمور بالله سبحانه وتعالى، ولا تعلقها بشخص، أو جماعة، أو حتى نفسها مهما بلغت من البراعة والمقدرة .

وأخيراً: فإنه إذا عمل الوالدان على تعميق أركان الإيمان في روح الفتاة، وترسيخها في قلبها، فإنها سوف تنشأ على المراقبة لله، والخشية منه، والتسليم لجناحه، والالتزام بمنهجه في كل أمر ونهي، ويكون عندها من حساسية الإيمان، وإرهاق الضمير ما يكفها عن المفاسد، وبهذا تنصلح روحياً .

سادساً: تربية الفتاة روحياً عن طريق دعوتها إلى ضرورة حماية الضروريات الخمس وحفظها:

وهذه الضروريات الخمس هي: الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل.

أما بالنسبة لحفظ الدين فيكون بتعويد الوالدين الفتاة عمل ما في وسعها لسيادة دين الإسلام، وتعويدهما لها بعدم قبول العيش الذليل تحت إمرة دين آخر، وعدم التخلي عن الحكم بالشرع، والابتعاد عن الإلحاد، والردة، والكفر، وذلك لتنشئتها على محاربة أعداء الله، والدفاع عن دينها وعقيدتها، وشعورها بالعزة والكرامة، واعتزازها بشريعته الإسلامية، وبرفع رايته، وبتميز أمتها الإسلامية^(١) التي قال - تعالى - عنها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقد سبق أن أشرت إلى ذلك في عنصر تعميق روح الجهاد في نفسية المراهقة من هذا المبحث.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه يجب أن يُوجد الوالدان لدى المراهقة مسؤولية الدفاع عن دينها الذي يحارب في كل مكان، ومن أبرز ما يحاربه بعض وسائل الإعلام، ذلك الإعلام الذي أصبح يفرض نفسه - اليوم - بوسائله المختلفة في أي موقع وفي أي مكان؛ حيث ينشر مواده المسموعة، أو المرئية، أو المقروءة، وأغلب هذه المواد تبث السموم للمجتمع المسلم لتفسد ما يصلحه المصلحون. واشتد ذلك بعد انتشار القنوات الفضائية التي تبث - في أغلب الأحيان - الرذيلة بين أفراد المجتمع من خلال الأغنية المائعة، وأفلام الجنس الصارخة، والمسلسل الإذاعي والتلفزيوني الهابط، والرواية المثيرة و... إلخ، وهو ما جعل المراهقة تعيش في خواء، وتنسى ذاتها، فتتخبط في دياجير ظلمات العصر، وما

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص: ٦٤، ٦٥.

ذلك إلا بسبب الآباء الذين سمحوا لأولادهم - ذكوراً وإناثاً - بمتابعة وسائل الإعلام الفاسدة، والانزلاق في أزمت العصر الأخلاقية، ومظاهر سلوك أفراد الانحرافية، الأمر الذي أدى إلى المزيد من المشاكل الاجتماعية، والعديد من الانحرافات الجنسية، والتوتر والاضطرابات النفسية التي جعلتهم يفقدون الإيمان بالمودة، والرحمة، والصلة، ويفقدون الإيمان بالقيم الإنسانية، ويشعرون بالضيق والإحباط، ويعيشون في صراع نفسي وفي حيرة^(١).

أما بالنسبة للضرورة الثانية وهي: المحافظة على النفس، فهي تتطلب من الوالدين أن يؤكدوا للفتاة بأن الله - تعالى - قد حرم قتل النفس بغير حق، وأنزل أشد العقوبة بمرتكب ذلك، حيث قال - سبحانه -: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]، كما أنه - تعالى - قد حرم الانتحار: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وأكد ضرورة احترام الأرواح، والبعد عن التفكير بالثأر أو الاعتداء، أو أي جريمة من هذا النوع، وحب العدالة، والقصاص.

وأما حفظ ضرورة المال: فتكون بتذكير الوالدين للمراهقة بأن المال وديعة في أيدي العباد، مصداقاً لقوله - تعالى -: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، حيث استودعهم الله إياها، ليؤدوا زكاتها، وليشتمروها بالطرق المشروعة دون ظلم، ولئلا يسرفوا فيها، ولا ينفقوها في المفاسد الخلقية كالمعازف والخمور والزنا، ولا يبددوها بوضعها بين أيدي السفهاء الذين لا يعرفون قيمتها، كما لا يجوز أكلها بالتزوير، والاحتيال كالرشوة ونحوها، وهذا يجعل المراهقة تخشى الله - تعالى - في المال فلا تسرف، ولا تبذر، ولا تبدد، وتحترم أموال

(١) المراهقة مفترق الطرق بين الاستقامة والانحراف، إبراهيم حمود المشيقح، ص: ٥٥ - ٥٧.

الآخرين فلا تقربها، ولا تفكر في اغتصابها، أو الاحتيال في أخذها.

وحفظ العقل : يكون بتذكير الوالدين للمراقبة بأنه - تعالى - قد أشاد بذوي العقول المفكرة في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾ [طه : ١٢٨] ، وأنه قد كرر ذلك أو ما يشبهه في العديد من الآيات ، وذلك كلما ذكر آية من آيات قدرته ، وتدييره ، وإبداعه كقوله - تعالى - : ﴿ لَقَوْمٌ يَعْقِلُونَ ﴾ ، و ﴿ لَقَوْمٌ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، فكلمتا (تعقلون ، يعقلون) قد وردتا في ٤٨ آية أو موضعاً في القرآن ، وهناك ١٧ موضعاً لكلمة (يتفكرون) ، و ١٦ موضعاً وردت فيها كلمة (يفقهون) (١) .

ويؤكد لها بأنه مما يدل على ضرورة حفظ العقل نهيه - تعالى - عن الخمر لما فيها من أضرار ، حيث أشار إشارة صحيحة إلى ضررها العقلي في قوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء : ٤٣] ، وقوله - سبحانه - مندداً بالذين لا يفكرون ، ولا يستعملون عقولهم في الخير والمعرفة : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٢] (٢) .

أما بالنسبة للضرورة الخامسة وهي : المحافظة على العرض ، فلا بد أن يوضح الوالدان للمراقبة أن من عظمة الإسلام أنه حمى الطفولة ، وأحاطها بحصن اجتماعي متين ، وذلك حين جعل علاقة الأبوين على درجة من المتانة لا يتطرق إليها أي خلل أو شك ، أو ريبة تنغص على الأسرة حياتها ، وجعل ميثاق الزوجية متيناً عظيماً ، فقال - سبحانه - : ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء : ٢١] ، كما أنه حمى الزوجية من أية خيانة جنسية تصدر عن أي من الزوجين ، وجعل عقوبة الموت رجماً بالحجارة لكل زوج (رجل أو امرأة) تثبت

(١) أصول التربية الإسلامية ، عبد الرحمن النحلاوي ، ص : ١٠٧ .

(٢) سوف يرد الحديث عن حفظ العقل بشيء من التفصيل في عنصر : العناية بصحة عقل المراقبة في مبحث التنشئة الفكرية .

عليه خيانة جنسية صريحة بشهادة أربعة شهداء ؛ ومن ثمَّ وفَّر للطفل الانتماء إلى نسب شريف، وآل بيت نظيف، وقضى على وجود الأبناء غير الشرعيين في المجتمع المسلم^(١).

ومن محافظة الإسلام على هذه الضرورة أن جعل حكم الزانية والزاني البكرين الحرَّين جلد مائة وتغريب عام، ووجوب إقامة هذا الحد أمام طائفة من المؤمنين، وعدم جواز تزويجهما إلا بعد توبتهما^(٢)، يقول - تعالى -: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

سابعاً: الاستغلال الحسن - من قبل الوالدين - لما لدى المراهقة من قابلية شديدة للاستهواء، وصيانتها عن أقذار الجاهلية، وتوعيتها بمكر الأعداء وبما يحوكونه حولها؛

وذلك بأن يذكرها الوالدان بقوله ﷺ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»^(٣)، ويؤكد لها بأنه هو هذا الزمان الذي تعيش فيه، ومن ثم يوضحان لها بأن كل مسلم يريد أن يطبق منهج الله في الأرض وفي ذات نفسه، يجب أن يعلم بأن معركته مع الجاهلية في هذا الشأن هي معركة عقيدة؛ لأن هذه الجاهلية تريد أن تفتنه عن عقيدته، وتريد أن تقول له إن ما أنزله الله وأمر به إنما هو أمور مثالية غير قابلة للتطبيق، وأن التطور الذي هو قوة حتمية يجعل من المستحيل تطبيق المنهج الرباني الذي أمر الله بتطبيقه^(٤)، وكثيراً ما تقوم

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص: ٦٥-٦٨.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ٣ / ٢٢٠.

(٣) أخرجه الترمذي، ك/ الفتن، ب/ ما جاء في النهي عن سب الرياح، رقم ٢٢٦٠، وقال: غريب.

(٤) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ٢ / ٢٣٧، ٢٣٨.

هذه الجاهلية بإثارة مشكلات لتشويه العقيدة الإسلامية، أو الحمل على انحرافها في نفوس الناشئين، أو التشكيك بها، أو الابتعاد والعزوف عنها، حيث تعرضها في ثياب براقمة تموه حقيقتها، فتدعي تارة ابتغاء العلم، وهي تبتغي عبادة الطبيعة ونسبة سنن الكون إلى قوى طبيعية. وتارة تدعي الفن، وهي تريد إثارة الغرائز، واتباع الشهوات اتباعاً يخرجها عن فطرتها إلى الإضرار بالجسم والمجتمع. وتارة تدعي العدالة الاجتماعية، وهي تريد تحكيم الشيطان وأتباعه من الظالمين في رقاب العباد وأموالهم وأقواتهم؛ حتى يصبح الناس عبيداً لطواغيت من البشر، يخشونهم كخشية الله... وتارة وتارة... إلخ.

وعلى الوالدين - أيضاً - أن يحاولوا - قدر المستطاع - إظهار زيف هذه الدعوات الكافرة، والعمل على إرجاع المراهقة مطمئنة، مقتنعة، راغبة إلى عبادة الله وحده وتوحيده، والشعور بعظمة شريعته، وعدالتها الحقيقية التي لا عدالة بدونها، ولا سعادة بغير اتباعها^(١)، ومن ثم يوضحان لها أن هذه المعركة إما أن يخوضها المسلم بروح الجهاد في سبيل الله، وسبيل العقيدة، وإما انتصار الجاهلية في ذات نفسه، وانتصار الشيطان، وهي معركة عنيفة، ولكن جزاءها كذلك هائل وضخم وهو الجنة، حيث يقول - تعالى -: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وبعد ذلك يعمل الوالدان على تقوية البنيان النفسي للفتاة عن طريق تعميق الإحساس بالله في نفسها، وجعل حب الله ورسوله أثقل في قلبها من ضغط المجتمع كله، وطاعة الله ورسوله أحب إليها من طاعة المجتمع كله بما فيه من مغريات، وأن يكونا صديقين لها بحيث يجعلان الصلة التي تربطها بالبيت أقوى وأثقل من الصلة التي تربطها بالمجتمع، وأن تكون صلة المودة بين الفتاة وأمها

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص: ١١٧.

كافية للمكاشفة التي يمكن عن طريقها تصفية الضغط الزائد عن الحد، والتوجيه إلى اجتناب ما تغرق فيه الجاهلية من الأوزار، كما يلجأ الوالدن إلى شغل وقت الفتاة بالطاعات والعبادات، والدراسات النافعة الشاغلة عن تفاهات الجاهلية وقذاراتها، وأن يستنفدا طاقتها فيما يقوي جسدها على احتمال الجهاد، ويقوي روحها على مقاومة الغواية، ويحميها من أدران المجتمع الجاهلية قبل أن تلصق بنفسها.

وبما أنه من مخاطر فترة المراهقة على المراهقين: القابلية الشديدة للاستهواء لمن هم في سنهم، ولمن هم أكبر منهم، ولمن هم أشخاص خياليون في القصص والمسرحيات، ولمن هم أشخاص حقيقيون في التاريخ، كان على الوالدين أن يستغلا هذه القابلية الطبيعية للاستهواء في هذه المرحلة ليجذبوا منها الفتاة إلى خط الصعود، والفضيلة، وإلى القيم العليا، والمبادئ الإنسانية الرفيعة.

وبما لا بد أن يدركه الوالدن أن هذا الاستعداد الشديد للاستهواء في هذه المرحلة من العمر لم يخلقه الله عبثاً، ولم يخلقه ليكون مشكلة للإنسان، أو مصدر خطر عليه، ولكنه - ككل ما أودعه الله في الفطرة من الطاقات والاستعدادات - يؤدي مهمته في البناء السليم للنفس حين يوجه التوجيه الصالح على هدي المنهج الرباني، ويكون خطراً عظيماً مدمراً حين يوجه التوجيه السيئ على هدي المناهج الجاهلية، فالفتاة - في الوقت الحاضر - عرضة للانحراف الخلقي - الجنسي - بصفة خاصة، وإن كانت الجاهلية الحديثة قد أشركتها كذلك في عصابات السرقة، والقتل و... إلخ.

وتجيء السينما والتلفزيون ليخدما كل الأهداف الشريرة، فتصور الجريمة - سواء جريمة الجنس أو غيرها - تصويراً مغرياً في صورة بطولات، فتزيد الفتنة

اشتعالاً بالنسبة للفتاة، وتهيئها للجريمة، ومن هنا تصبح القابلية للاستهواء خطراً عظيماً في الجاهلية، لا لأنها خطيرة في ذاتها، ولكن لأن التوجيه الجاهلي المدمر هو الذي يسمها بسمة الخطورة، ويوجهها وجهة الشر.

أما في ظل المنهج الرباني، وفي المجتمع المسلم الذي يطبق المنهج الرباني، فإن هذه القابلية الشديدة للاستهواء تكون عوناً هائلاً للوالدين، حيث يستخدمانها في تقويم نفس الفتاة، وبنائها البناء الصحيح، وذلك بتوجيهها إلى البطولات الحقيقية، ذات المستويات الرفيعة في كل اتجاه، فتتجذب إليها، وتعجب بها، وتسعى إلى محاكاتها، فيكون الخير في كل حال سواء وصلت الفتاة إلى تلك المستويات الرفيعة بالفعل، أو وقفت في المحاولة عند حد معين.

ولكن المشكلة ستظل قائمة بالنسبة للوالدين المسلمين في ظل الأوضاع الجاهلية؛ فنزعة الاستهواء القائمة في نفس المراهقة عرضة لأن تلتقط شيئاً من الشر الذي يغمر المجتمع الجاهلي، ويلون كل تصرفاته، ويحتاج الأمر منهما إلى جهد زائد يبذلانه في تحويل هذه النفس الغضة عن الشر، وجذبها إلى الخير الذي لا ترى نماذج حقيقية له فيما حولها من المجتمع - إلا ما ندر - إنما تراه - على الأكثر - في البيت المسلم الذي تتربى فيه، ثم في نماذج المجتمع المسلم التاريخي الذي تسمع عنه ولا تراه بالفعل، وفيما يدعو إليه كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

كما يحتاج الأمر إلى التوجيه المستمر، والتوعية المستمرة لإزالة أدران الجاهلية قبل أن تلصق بنفس الفتاة، وإلى الاجتهاد في اختيار الأصدقاء من أنظف النماذج المتيسرة في هذا المجتمع الجاهلي، وأقربها إلى الاستقامة، وكذلك في اختيار الصحيفة، والمجلة، والكتاب؛ وإن كان هذا مهمة عسيرة. أما السينما

والتلفزيون فينبغي للوالدين أن يبذرا في فتاتهما كل استنكاف من قذارتهما، وكل ترُفُّع على ما فيهما من فساد، حتى تنفر منهما تلقائياً دون حجر، فالحجر بغير اقتناع بأسبابه لا يؤدي وظيفته التربوية المطلوبة^(١).

ثامناً: تنمية شعور الحاجة المستمرة إلى الله لدى المراهقة؛

حيث يرى المربون أن أهم مرحلة يجب غرس هذا الشعور فيها هي فترة المراهقة؛ لأن الفتاة تنمو في هذه الفترة بسرعة، وتشعر بهذا النمو؛ ومن ثم تشعر بالاستغناء عما عداها، ثم تبتهج بمباهج الدنيا، وتظن أنها تستطيع عندئذ أن تفعل كل ما يحلو لها دون الاعتماد على غيرها في هذه الفترة التي تعد أخطر فترة يمكن أن تنقطع فيها صلتها بالله، وتقع فيها في الرذيلة، وتدنس نفسها، لأن نفسها عندئذ تحدثها بالسوء، وتزين لها الشهوات، وتدفعها إلى اللذات الوقتية؛ لذلك متى انس الوالدان من الفتاة هذه الروح وجب عليهما الإسراع لإنقاذها، ولا وسيلة لذلك إلا بتوجيه عواطفها وعقلها إلى قوة أعظم، وقدرة أقوى، بحيث يؤكدان لها بأنها ما زالت في حاجة إلى خالقها موجد هذا الكون والوجود، ومبدع جميع الكائنات، ويذكرانها بقوله -تعالى- في الحديث القدسي: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً،

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ٢/ ٢٣٨-٢٤٤.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»^(١).

ومما ينبغي كذلك أن يبصر الوالدان به المراهقة نعم الله على الإنسان التي لا تعد ولا تحصى بصورة تدفعها إلى طاعته وعبادته، وتجعلها ترتبط به، وتخلج من عصيانه والخروج من طريقه^(٢)، ويذكرها بقوله - تعالى -: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، ونحو ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على تلك النعم.

تاسعاً: توضيح السعادة الحقيقية للمراهقة:

على الوالدين أن يوضحا للمراهقة بأن السعادة الحقيقية في اللذائذ الروحية، وهذه السعادة واللذائذ لا تدرك بالوصف ولا بالمطالعة، وإنما بالعقل الخالص الصافي، والقلب المستنير المشرق الذي لا تكدره الحجب، وعليهما تعريفها أن الطريق إلى هذه اللذة، والسبيل إلى هذا النوع من السعادة يتلخص فيما يلي:

١- أن تتخلص من الرذائل والشوائب، يقول الغزالي: «فاعلم أنه لا وصول إلى الله - سبحانه وتعالى - إلا بالتنزه عن الشهوات، والكف عن اللذات، والاقتصار على الضرورات فيها، والتجرد لله - سبحانه - في جميع الحركات والسكنات»^(٣)، ومن هذه الرذائل والشوائب: الجهل، والعجلة، والشح، والظلم، ويضرب الوالدان للمراهقة الأمثلة الدالة على كون هذه الصفات

(١) أخرجه مسلم، ك/ البر والصلة والآداب، ب/ تحريم الظلم، رقم ٢٥٧٧.

(٢) جوانب التربية الإسلامية الأساسية، مقداد يالجن، ص: ٢٥٢-٢٥٤.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١/ ٢٦٧.

مخلوقة فيها، وأنها مأمورة بالتخلص منها، ومن ذلك قوله - تعالى -: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وقوله - تعالى -: ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقوله - عز من قائل -: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۚ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۚ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١]، وقوله - تعالى -: ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقوله: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧]، إلى غير ذلك من الآيات .

ويحسن بالوالدين أن يوضحا للفتاة بأنه كما أن من الضروري إماطة الفضلات المصاحبة لها - كالأوساخ المكتسبة من البيئة - فإن من الضروري كذلك أن تظهر نفسها من الأقدار المصاحبة لها لتحيا الحياة الطيبة، مصداقاً لقوله - تعالى -: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، وأنها لكي تحقق ذلك لا بد لها من بذل الجهد، والعمل المتواصل لإصلاح القوى الثلاث التي عنها تنبثق الدوافع الإنسانية وهي: قوة الشهوة، وقوة الحمية، وقوة الفكر؛ فبالعمل على تهذيب الشهوة وتقويمها تحقق الفتاة لنفسها العفة، وتصونها عن الشره، وما يستتبعه من شرور، وتدفعها إلى العمل على تحري الاعتدال، والتوازن في المأكل، والمشرّب، والملبس، وسائر اللذائذ الحسية. وبإصلاح قوة الحمية تتخلص المراهقة من سائر الخصال النفسية الذميمة المرتبطة بهذه القوة، فتتخلص من التهور والاندفاع، والجبن، والحسد، وتتحري الاقتصاد والتوازن في الخوف، والغضب، والأنفة ونحوها، وبإصلاح قوى الفكر تتوصل الفتاة إلى الحكمة والاتزان الكامل، وتضع كل أمر موضعه، ويدل على ذلك قوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

٢ - وكذلك يكون السبيل إلى السعادة الحقيقية بالتزام الفتاة بالعبودية لله .

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار، واليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والمملوك من الأدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وحب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك من العبادة، قال - تعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومن ثم يحاول الوالدان ترسيخ الإيمان الكامل بالله في قلب الفتاة، وربط قلبها، وذهنها، وعقلها، وفكرها على أنه لا إله، ولا مالك، ولا حاكم، ولا معطي، ولا مانع إلا الله تعالى. وأنه لا ينبغي أن تكون لحياتها، ولا لأي وجه من وجوه نشاطها إلا غاية واحدة هي: حب الله تعالى، وإرادة رضاه. والإيمان يعد أول خطوة في طريق العبودية، ولذلك كان على الوالدين أن يبذلا جهدهما لتقوية هذا الاعتقاد، وترسيخه لدى المراهقة. أما الخطوة الثانية فهي الطاعة التامة لله تعالى، وضرورة انسلاخها من كل نوازعها وهواها، وجعلها تبعاً لما أمر به الله تعالى، ولكي تحقق ذلك عليهما أن يأمرها بضرورة أن تتحرى في كل خطوة، أو فكرة، أو قول، أو تصرف رضا الله تعالى، وطاعته. وعليهما أيضاً أن يوضحا لها بأنها إذا وطنت نفسها على ذلك حتى تستمرى الطاعة وتنفر من المعصية تحولت إلى إنسانة تميز بين الخير والشر، والصواب والخطأ، والحلال والحرام، واستحقت أن تتصف بالتقوى. ثم إنها إذا واطبت على ذلك ارتقت إلى مراتب المحسنين الذين لا يحبون إلا ما يحبه الله، ولا يبغضون إلا ما

يغضه الله ، ولا يكتفون بتجنيب أنفسهم الفواحش والمنكرات ، بل لا يألون جهدهم في تنقية الحياة كلها من الشرور إرضاءً لله تعالى ، وغرس بذور الفضائل في سائر جوانبها ، وهذا أعلى المراتب (١) .

وأخيراً: فإن على الوالدين أن يوضحا للمراهقة أن الدين الإسلامي لم يجعل سعادة المرء في الحياة الآخرة منوطة بقبيلة ، أو نسب ، أو بلد أو غير ذلك ، وإنما ناطها بمقدار ما يقدمه المسلم في حياته الدنيا من الأعمال الصالحة قلباً ، وبدناً ؛ فكل عمل يقوم به في حياته الدنيا له مردود وعائد في حياته الآخرة ، وهذا المردود يرتبط بخير هذا العمل وشره ، وهكذا تعمل التربية الروحية على سعادة الفتاة ، وتنعكس هذه السعادة على نفسها ، وعلى مجتمعها (٢) .

عاشراً: دعوة الفتاة إلى مجاهدة نفسها باستمرار:

قال - تعالى -: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبِئْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

يوضح الوالدان للمراهقة بأن هذا النصر ليس هو النصر في الحروب والقتال فحسب ، بل هناك ما هو أعظم ، وهو الانتصار على النفس ، ومجاهدتها لأن طبيعة النفس أنها كثيراً ما تخلد إلى الكسل والاسترخاء ، ويذكرانها بقوله - تعالى -: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿ ٨ ﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿ ٩ ﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٧-١٠] ، فيبينان لها بأن الإنسان بطبيعته في صراع مع نفسه حتى ينتصر عليها ، أو تنتصر عليه ، ويبقى الصراع قائماً إلى أن

(١) الإسلام والتربية الروحية للشباب ، طه جابر العلواني ، ص: ٩-١٤ .

(٢) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف ، عبد الجواد سيد بكر ، ص: ١٩٤ ، ١٩٥ .

يدركه الموت ، وأن من أهم المقومات التي تساعد على الانتصار على نفسها : أن يكون قلبها حياً رقيقاً ، صافياً صلباً ، ومشرقاً كقلوب المؤمنين التي صورها القرآن الكريم في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] ، وأن يكون عقلها مدركاً وواعياً ، وبصيراً أخذاً لشتى العلوم التي يستطيع أن يتزود بها قرباً من الله وإدراكاً لعظمته ، وذلك لأن المؤمن عقله واع ، فيه بصيرة واعية ، يميز بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والخبيث والطيب ، والمعروف والمنكر ، لأنه ينظر بنور الله ، ولا يطفئ نور تلك البصيرة إلا المعاصي وعدم التوبة . وكذلك يؤكد الوالدان للفتاة أنها بجهادها لنفسها ، وعدم ركونها إلى هواها تستطيع أن تنتصر عليها ، وتنتصر على شيطانها ، وهذا أسمى معاني النصر الذي به تستطيع مواصلة الطريق ، والعمل على التبليغ ، والنجاح في الحياة ، كما يؤكدان لها بأن جهاد النفس هو المرتكز الأول في جهاد الأعداء ، والنصر عليهم ، وأن ذلك يحققه الإيمان ، والإخلاص ، والصدق ، والصبر ، والجرأة في قول الحق ، والتفاؤل ، والثقة بوعده الله ^(١) .

حادي عشر: دعوة الفتاة إلى محاسبة نفسها:

يدعو الوالدان المراهقة إلى تدبر معنى قوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر : ١٨] ، ومن ثم يأمرانها بمراقبة الله - تعالى - قبل أن تبدأ أي عمل ، وفي أثنائه ، ومحاسبة نفسها بعد الانتهاء منه ، وسؤالها : هل كان خالصاً لوجهه - تعالى - أو داخله بعض الرياء ؟ وهل اقترفت إثماً أو ذنباً صغيراً كان أم كبيراً ؟ وهل أدت في عملها هذا حقوق الله كاملة ، وحقوق العباد أو لا ؟ ومن ثم يطلبان منها إن وجدت خيراً

(١) رسالة إلى ابنتي ، نجاة حافظ ، ص : ٣٨ - ٤١ .

فعلينا أن نحمد الله ، وإن كان غير ذلك فعليها أن تتوب وتندم ، وتستغفر ، وتجدد العهد مع الله بعدم العودة لذلك ، وتسأل الله الثبات والسداد بحفظه ورعايته ، ويذكرانها بقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، وتهيؤوا للعرض الأكبر ، قال - تعالى - : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٨] » .

وقد شبه العلماء حقيقة محاسبة النفس بأنها كالتجارة . فعلى كل تاجر أن ينظر في رأس ماله ليتبين له الزيادة والنقصان ، فرأس المال في دينه أداء الفرائض ، وما فيها من أمر ونهي وتكاليف ، وربحه أداء النوافل والفضائل وترك المنهيات ، وخسرانه المعاصي وارتكاب الذنوب . ولذلك يدعو الوالدان المراهقة إلى أن تنظر فيما كُتِبَ عليها من فرائض وتكاليف ، وتنظر فيما ارتكبتها من معاصٍ وآثام وأخطاء ، ومن ثم تجتهد لتحقيق الربح الكبير بالبعد عن كل أسباب الخسارة ، لتصل في النهاية إلى أعلى المنازل والدرجات^(١) .

* * *

(١) رسالة إلى ابنتي ، نجة حافظ ، ص : ٥٩ - ٦١ .